العلاقة بين اللسانيات والسيمياء

د/ يوسف الأطرش
المركز الجامعي- خنشلة-

موضوع اللسانيات:

تختص اللسانيات الحديثة بدراسة اللسان البشري دراسة موضوعية، إلا أن هذه الدراسة يمكن أن تُتَناول من جوانب مختلفة؛ اجتماعية أو نفسية أو فيزيولوجية أو فيزيائية...الخ، ترتبط بعلوم أخرى. وهذا ما أدى إلى تشعب الدراسات اللسانية، وإلى اختلاف المدارس اللسانية واتجاهاتها؛ لأن تحديد **دي سوسير** لموضوعها " دراسة اللغة في حد ذاتها ولذاتها"، يبعد عناصر كثيرة تتعلق بمكونات فعل التواصل: فعل الكلام في وضعية معينة (=الملفوظ)، فعل التلفظ في حد ذاته(=الملفوظية)، والذي يقوم بفعل التلفظ(=المتلفظ). وهي المجالات التي أصبحت من صميم البحث اللساني (التداولي خصوصا) في اللسانيات الحديثة.

لقد وسعت هذه العناصر مجال الدراسات اللسانية، وتبرر وجود تخصصات تدرس اللغة من وجهة نظر علمية غير لسانية، كـ علم النفس اللغوي(psycholinguistique)، وعلم الاجتماع اللغوي(sociolinguistique)، والتداولية(pragmatique) التي تدرس اللغة في وضعية تواصلية.

أدى هذا التوسع إلى اختلاف في إعطاء مفهوم دقيق للسانيات؛ فالبعض يعتبر أن هذه التخصصات تدخل في إطار البحث اللساني، وبعضهم الآخر يرى بأن مجال هذه التخصصات يدخل ضمن العلم الذي تُدرس اللغة في ضوئه، وبالتالي فإن علم اللسان لا يهتم إلا بالخصائص الذاتية للغة، "بهدف اكتشاف المميزات العامة المشتركة بظاهرة اللسان البشري من خلال دراسة اللغات الطبيعية المختلفة المتداولة بين بني البشر، وتطمح هذه الدراسة أن تكون دراسة وصفية علمية بعيدة عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت دائما الدراسات اللغوية والنحوية.. فلا يهتم اللساني إلا بوصف الأحداث

اللسانية وتحليلها كما تتحقق في الواقع وليس على الحال التي يريد هو أن تكون عليه، أي دراسة علمية تتسم بالموضوعية والمنهجية الدقيقة.."[i].

ينحصر حقل الدراسة اللسانية، إذا، في اللسان نفسه، أي دراسة وتحليل الواقعة اللغوية من أجل استنباط القوانين الأصولية التي تشترك فيها اللغات، والقوانين الخاصة التي تتميز بها لغة من اللغات في منطقة من المناطق الجغرافية. مما يعني بأن البحث اللساني الفعلي ينحصر في البنية اللفظية مهما اختلف نوعها، كما يرى **جاكبسون**، ولتحقيق ذلك على الباحث أن يتأمل هذه البنية تأملا عميقا من حيث تماسكها الداخلي، ومن حيث طبيعة العلاقة و/أو العلاقات التراتبية التي تكونها، أي أن تكون الدراسة ممنهجة بالشكل الذي تستدعيه الأنظمة اللفظية نفسها[ii]. وقد وفَّرت مؤسسات البحث والهيئات الرسمية وسائل وأدوات ومخابر جد متطورة، من أجل تحقيق نتائج علمية مبنية على نظريات مستنبطة من قوانين عينية توصل إليها الباحثون، في مختلف جامعات العالم.

لا يفصل **غريماص** اللسانيات عن النظرية السيميائية العامة[iii]، بحيث يعتبرها جزءا منها، بوصفها(اللسانيات) دراسة علمية للسان (Langage) وللغات الطبيعية (langues naturelles)، بمعنى التفكير النظري حول اللسان؛ أي وصف اللغات الطبيعية من حيث طبيعتها واشتغالها، وفي الوقت نفسه تتغذى الدراسة من النتائج التحليلية ذاتها.

يعد **دي سوسير** همزة وصل بين الدراسات اللسانية القديمة والحديثة؛ لأن المسار التاريخي لتطورها يعود إلى ما قبله بكثير، غير أن التطور العلمي لها يعود إلى ثورتين[iv]:

1- الثورة التي أحدثها اختراع الكتابة، التي أدت إلى تأمل ظاهرة اللغة تأملا فلسفيا حتى من الناحية الصواتية، وبالتالي يمكن أن تدعى هذه الفترة فلسفة اللغة.

2- ظهور التوجه في الدراسات اللسانية تجاه النحو المقارن في القرن التاسع عشر، الذي يفترض تحليل الكلمة إلى وحدات دالة (مورفيمات Morphème).

احتلت اللسانيات الحديثة الصدارة بوصفها تخصصا علميا قائما بذاته، ومستقلا بنظرياته وتطبيقاته العملية، وهو التخصص الوحيد الذي يستحق صفة العلم[v]، في هذا المجال بطبيعة الحال. وانطلاقا من بعض المسلمات العامة التي صاغها **دي سوسير**، استطاعت اللسانيات البنيوية أن تستقل بموضوعها ذي الطابع الشكلي؛ وأن تحدد لنفسها أدوات إجرائية مكنتها من تحقيق نتائج معتبرة في مجال الدراسة اللغوية.

لقد تطورت اللسانيات البنيوية في أوربا انطلاقا من مدرسة **براغ**[vi]، وبالتوازي في الولايات المتحدة، فيما يعرف بالتوزيعية عند بلومفيلد (L.Bloomfield) الذي أسس المدرسة السلوكية، وهاريس (Z.S Harris). وكذلك النحو التوليدي والتحويلية، واللسانيات الوصفية التي تعد جميعها امتدادا طبيعيا للسانيات البنيوية.

أما الذي يهمنا أكثر هنا هو العلاقة بين الأسس النظرية والعملية للدرس اللساني بوصفه إجراء يشتغل في نظام اللغة، والأسس النظرية والإجرائية للدرس السيميائي بوصفه تصورا منهجيا يتأمل الأنظمة الدالة، سواء أكانت لسانية أم غير لسانية. تنطلق هذه العلاقة من المفاهيم القاعدية للدرس اللساني؛ مفهوم اللغة، ومفهوم الدليل اللغوي (العلامة اللغوية).

1-مفهوم اللغة:

إننا نستعمل، عادة، لفظة لغة للتعبير عن اللغة بوصفها منظومة من العلامات، أو بوصفها إجراء كلاميا، إلا أنه يجب أن نميز بين الاستعمالين؛ فمصطلح لغة نستخدمه مقابلا للمصطلح الفرنسي Langue، ونستخدم مصطلح لسان مقابلا لـــ Langage، الذي يعني الإجراء الكلامي. كأن نقول اللغة العربية، ونعني منظومة القواعد النحوية والصرفية والمعجمية والبلاغية التي تعد ضوابط التكلم بهذه اللغة. ونقول اللسان العربي، ونعني به استخدام هذه الضوابط عمليا في مواقف معينة؛ أي الأصوات التي ينتجها اللسان، سواء أكانت منطوقة أم مثبتة بواسطة رموز (مكتوبة)، بمعنى تواصلية أو حاملة للفكر..

يقول **دي سوسير**:

" La langue est un système de signes exprimant des idées, et par de là; comparable à l'écriture, à l'alphabet des sourds-muets, aux rites symboliques; aux formes de politesse; aux signaux militaires, etc., etc. Elle est seulement le plus important de ces systèmes."[vii]

ويقول موضحا الفرق بين **اللغة**(Langue) **واللسان** (Langage):

" Mais qu'est –ce que la langue? Pour nous elle ne se confond pas avec le langage; elle n'en est qu'une partie déterminée, essentielle; il est vrai. C'est à la fois un produit social de la faculté du langage et un ensemble de conventions nécessaires, adoptées par le corps social pour permettre l'exercice de cette faculté chez les individus. Pris dans son tout, le langage est multiforme et hétéroclite; à cheval sur plusieurs domaines, à la fois physique; physiologique et psychique, il appartient encore au domaine individuel et au domaine social; il ne se laisse classer dans aucune catégorie des faits humains, parce qu'on ne sait comment dégager son unité.

La langue au contraire, est un tout en soi et un principe de classification. Dés que nous lui donnons la première place parmi les faits, nous introduisons un ordre naturel dans un ensemble qui ne se prête à aucune autre classification.

A ce principe de classification on pourrait objecter que l'exercice du langage repose sur une faculté que nous tenons de la nature; tandis que la langue est une chose acquise et conventionnelle, qui devrait être subordonnée à l'instinct naturel au lieu d'avoir le pas sur lui."[viii]

يعد اللسان(العضو)، أهم عضو في جهاز النطق، لأنه ينتج الأصوات بغض النظر عن الأصوات اللغوية؛ واللغة تتعلق باللسان البشري، وعلى هذا الأساس تربطها مختلف التعريفات باللسان. يقول **ابن جني** في تعريف اللغة: " أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. هذا حدها"[ix]. أما **دي سوسير** فيحدد مفهوم اللغة في ضوء تصوره العام للدرس اللساني، كما يتضح من التعريف، ومن ثم يميز بين)؛ فاللغة عنده هي " نظام من الرموز الصوتية Langage)، واللسان(Langueاللغة(الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعا من جماعته..."، أي إن اللغة جهاز منجز متواضع عليه يتعلق بالحدس الجمعي، إنها الجانب الاجتماعي للِّسان، بحيث لا يستطيع الفرد أن ينشئها أو يغيرها؛

أما اللسان فهو القدرة على النطق بهذه اللغة، والقدرة على إدراكها، فالتعلم طريقة لامتلاك اللغة، أي إنه تدريب لساني للتكلم باللغة[x].

ويعرفها **اندريه مارتينيه** (A. MARTINET)، بأنها وسيلة للتواصل، تحمل الخبرة الإنسانية عن طريق وحدات صوتية مُحمَّلة بمحتوى دلالـــي، أي كلمـــات (Monènes) تتشكل من وحدات متميزة ومتتالية هي الفونيمات (Phonèmes)، وعدد هذه الفونيمـــات محدد في كل لغة، وطبيعتها تختلف من لغة إلى أخرى[xi].

إن تحديد تاريخ نشأة اللغة ووظيفتها أمر في غاية الصعوبة، إلا أننـــا ننطلـــق مـــن طبيعتها التواصلية، مهما اختلفت النظريات في تحديد طبيعة النشأة وطبيعـــة الوظيفـــة؛ إنها– سواء أكانت محاكاة للأصوات، أم رد فعل (إنفعال)، أم انقباض عضلي، أم تمثيلا لتعبيرات بدائية غير لغوية– وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، ولـــيس هناك جماعة إنسانية من دون لغة للتواصل ونقل الأفكار. وما دامت كل اللغـــات تقـــوم بالوظيفة نفسها مهما اختلفت الألسنة، فإنها تشترك جميعا في جملـــة مـــن الخصـــائص، هي[xii]:

1– الطبيعة الصوتية للغة 2– الطبيعة الاجتماعية للغة

3– اللغة تتميز بالتغير 4– اللغة مكتسبة

5– اللغة نظام من الرموز (نسق)

يتضح لنا بأن الميزة الأساسية للغة، هي طبيعتها الصوتية؛ فالصوت يمكن أن يكون مصحوبا بفعل، حتى وإن حدث بعيدا عن المتلقي، أو في الظلام. وهذا ما يجعل الكلام أهم قناة للتواصل الإنساني، على الرغم من وجود قنوات أخرى يمكن أن تؤدي الغايـــة نفسها، كالإيماءات (التي هي أسبق) ومختلف الإشارات والحركات الجسدية والرمـــوز (الألوان والأصوات غير اللغوية)، أو التعبير بالصور الذي تطور إلى الكتابة. وهذا ما جعل دي سوسير يتنبأ بتطور علم يدرس حياة علامات التواصل داخل المجتمع، دعـــاه **السيميولوجية**، تكون اللسانيات جزءا من هذا العلم العام، عندما قال:

" On peut donc concevoir **une science qui étudie la vie des signes au sein de la vie sociale**; elle formerait une partie de la psychologie sociale, et par conséquent de la psychologie générale ; nous la nommerons **sémiologie** (du grec **semeion**," signe"). Elle nous apprendrait en quoi consistent

les signes, quelles lois les régissent. Puisqu'elle n'existe pas encore, on ne peut dire de ce qu'elle sera ; mais elle a droit à l'existence, sa place est déterminée d'avance. La linguistique n'est qu'une partie de cette science générale, les lois que découvrira la sémiologie seront applicables à la linguistique, et celle-ci se retrouvera ainsi rattachée à un domaine bien défini dans l'ensemble des faits humains.

C'est au psychologue à déterminer la place exacte de la sémiologie; la tache du linguiste **est de définir ce qui fait de la langue un système spécial dans l'ensemble des faits sémiologiques."**[xiii]

وهناك تمييز آخر هام وضعه **دي سوسير** يساعد على وصف الأنظمة غير اللغوية، كالتمثيل مثلا، أو ما يسمى سيمياء المسرح؛ هو التمييز بين اللغة والكلام؛ فاللغة-كما رأينا- نظام من العلامات.. أما الكلام فهو الجانب العملي، الإجرائي، لهذه اللغة؛ ومن ثم تعد الدراما كلاما، والمسرحية لغة، لأن العرض المسرحي تطبيق لشعرية الدراما، والفرق بين الدراما والمسرح واضح؛ فالدراما تعني "ذلك الضرب من التخيل(Fiction) المصمم للتمثيل المسرحي والمبني على أساس اتفاقات(Conventions) ("درامية") خاصة."[xiv] أما المسرح فيعني " مركب ظاهرة تَشَارُكٍ في تعامل المؤدي-المشاهدين. أي في إنتاج المعنى وإيصاله من خلال العرض نفسه والأنساق التي تشكل أساسا له."[xv]

بناء على هذا التمييز يمكن أن نحدد مجالين لدراسة أدب المسرح في ضوء هذا المعطى اللساني والسيميائي في الوقت نفسه؛ مجال النص الدرامي؛ ومجال العرض المسرحي. وبالتالي فإن العلامة اللغوية-سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة- تحتل المرتبة الأولى في المجال الأول، والعلامات غير اللغوية (الحركات الإشارية، الرموز، والأيقونات...) تحتل المرتبة الأولى في المجال الثاني.

بقي أن نشير هنا إلى أن اللغة المكتوبة تحتل المرتبة الثانية في الدرس اللساني، لأن الحروف ما هي، في الحقيقة، إلا رموز للأصوات اللغوية. وقد اخترعت الكتابة من أجل الحفاظ على بقاء الكلام واستمراريته، نظرا للتراكم الهائل للإبداعات اللغوية، التي لا يمكن أن تحفظها الذاكرة، وبالتالي حلت الكتابة محل الكلام. فعلى الرغم من اختراع التسجيلات الصوتية، التي تضمن استمرارية الكلام، إلا أن ظاهرة الكتابة

هيمنت على كل أنواع التواصل، وبخاصة في المجالات الفكرية والأدبية؛ وبالتالي أصبحت القراءة ظاهرة تواصلية من نوع خاص، ترتبط أساسا بالتسجيل الرمزي للغة، وهذا ما أدى إلى ظهور تخصصات متعلقة بفعل القراءة، بوصفه تحويلا للمكتوب إلى منطوق؛ كما هو الشأن بالنسبة للمسرح.

وعلى الرغم من انتشار الكتابة والقراءة، وهيمنتهما على مظاهر الحياة المعاصرة، ووجود وسائل أخرى للتواصل؛ إلا أن اللسانيات تهتم بالدرجة الأولى باللغة المنطوقة/المسموعة (الشفوية). وذلك لأن ما ينتجه الإنسان من كلام منطوق، يفوق بكثير ما ينتجه عن طريق الكتابة، أو بأي وسيلة أخرى. وتهتم ثانيا باللغة المكتوبة، بوصفها صورة للغة المنطوقة. وتهتم ثالثا بأنظمة الاتصال المختلفة، التي تدخل ضمن السيميائيات ونظرية الاتصال ونظرية الإعلام.

وما دامت اللسانيات العامة علما قائما بذاته، يُعيِّن مادته من اللغة المتكَلَّمَة (اللسان Langage) و/أو المكتوبة من أجل دراستها وتحليلها، ومن ثم إعطاء الأحكام العامة التي تصلح لأن تطبق على الظواهر المتشابهة، فإنها تخضع –ككل العلوم– إلى جملة من القوانين العلمية الصارمة، منها على الخصوص[xvi]:

1–الشمولية: وهي الدراسة الدقيقة للمادة المتصلة بموضوع البحث جميعها..

2–الانسجام: وهو عدم وجود التناقض بين العناصر الجزئية المختلفة التي تشكل الحكم العام؛ بمعنى أن يُكَمِّل كل عنصر العناصر الأخرى في وحدة بنيوية متكاملة، وأن تكون جميعها مرتبطة بالظاهرة.

3–الاقتصاد: وهو نتيجة منطقية للقانونين الأولين، بحيث يلتزم الدارس بإعطاء حكم دقيق ومختصر عن الحالات المتشابهة و/أو المتكررة، ويوظف مفاهيم ومقولات تلخص النتائج(المختصر المفيد).

يجب أن نلفت الانتباه هنا، إلى أن ما يسهل الدراسة اللسانية، بمختلف اتجاهاتها، هو تجريبية المادة المدروسة؛ أي إنها تخضع للإدراك، سواء أكانت هذه المادة مسموعة(حاسة السمع)، أم كانت مكتوبة(حاسة النظر)؛ إن لم نقل بأن اللغة تثير عند المتلقي أكثر من حاسة(+الشم أواللمس أوالذوق). هذا، إلى جانب ارتباط اللسان و/أو اللغة بالسلوك الإنساني أثناء فعل التواصل؛ مما يعني بأن دراسة اللسان وتحليله

ترتبط، بشكل أو بآخر، بالسيكولوجية الفردية والاجتماعية، كما ترتبط في الوقت نفسه بالحياة السوسيولوجية للأفراد والجماعات.

إن تجريبية الظاهرة اللسانية وارتباطها السيكو-سوسيولوجي، يحددان التصور المنهجي الوصفي لدى الباحث و/أو الدارس، كما أن الطبيعة التجريبية للمادة تجعله يستعين بالمنهج التجريبي (الأنبيريقي Empirique) المبني على الملاحظة والاختبار. يفسر هذا التداخل بين طبيعة المادة وارتباطاتها، ظهور التخصصات التي تدرس اللسان في ضوء علم النفس (علم النفس اللغوي Psycholinguistique)، أو في ضوء علم الاجتماع(علم الاجتماع اللغوي Sociolinguistique)، أو في ضوءالسيميولوجية، سميولوجية اللسان (La sémiologie du langage).

لقد ارتبط التفكير السيميائي بجملة المفاهيم والمقولات التي قعدت لها اللسانيات، وبالتالي فإن مفهوم العلامة في الفكر النقدي البنيوي اقترن بمفهوم الدليل اللغوي، كما فسره **دي سوسير**.

2- **مفهوم العلامة**

العلامة- أو الدليل- وحدة دلالية، تتشكل من علاقة افتراضية تقابلية بين مظهر تعبيري يسمى الدال، وتصور مفهومي يسمى المدلول، أثناء فعل الكلام، أو أي فعل تواصلي. والدليل اللساني (Signe linguistique) عند **دي سوسير** (F.De Saussure)، هو اتحاد بين صورة صوتية سماها ***الدال*** (Signifiant)، وصورة ذهنية (أو مفهوم) سماها ***المدلول*** (Signifié). أي إن كل كلمة تعد دليلا لسانيا، وبالتالي فإن اللغة نظام من الدلائل. كما تُعرَّف طبيعة العلامة أيضا بأنها اجتماع شكل العبارة بشكل المضمون. وتنقسم الدلائل إلى قسمين؛ الدلائل الطبيعية، وهي التي تقوم على علاقة سببية(Motivé) بين الدال والمدلول، يسميها **دي سوسير** الرموز(Symboles)؛ والدلائل غير الطبيعية، وهي التي تقوم على علاقة غير سببية (Immotivé)، وتكون أساسا من العلامات اللغوية "؛ فالميزان كرمز للعدالة لا يمكن أن يعوض بأي شيء آخر، إنه ليس استبداليا"[xvii].

أصبحت هذه الثنائية قاعدة السيميائيات الأوربية، وقد تناولها اللساني هيلمسليف (Hjelmslev) مستخدما مصطلح **التعبير عوض الدال**، ومصطلح **المحتوى** عوض **المدلول**، موضحا العلاقة بينها بعلاقة **المادة بالشكل**؛ بمعنى أننا

نستطيع أن نميز **مادة التعبير** و**شكل التعبير**، ويمكن أن يتضح هذا التمييز في حالة اللغة والموسيقى، بحيث يستخدم الصوت في الحالتين، إلا أنه يختلف من حيث الشكل[xviii].

تهتم السيميائيات الأوربية بالعلاقة الثنائية للعلامة، لأنها تعد مرحلة أولى من مراحل وصف شبكة تمفصلات الأشكال الدالة؛ في حين أن السيميائيات واللسانيات في أمريكا تهتمان بطبيعة العلامة وتفسيرانها في ضوء علاقتها بالمرجع؛ وقد استوحتا ذلك من منطق الفيلسوف **شارل سندرس بيرس**[xix]، الذي تجاوز العلامة اللسانية، إلى تصنيف الظواهر في مقولات، انطلاقا من مفهوم العلامة.

"(…) quant on s'aperçoit que **le signe doit être étudié socialement**, on ne retient que les traits de la langue qui la rattachent aux autres institutions, celles qui dépendent plus au moins de notre volonté; et de la sorte on passe prés du but, en négligent les caractères qui n'appartiennent qu'aux systèmes sémiologiques en général et à la langue en particulier. Car **le signe échappe toujours en une certaine mesure à la volonté individuelle ou sociale**, c'est là son caractère essentiel; mais celui qui apparaît le moins à première vue.

Ainsi le caractère n'apparaît bien que dans la langue, **mais il se manifeste dans les choses qu'on étudie le moins**, et par contre-coup on ne voit pas bien la nécessité ou l'utilité particulière d'une science sémiologique, et **tout nos développements empruntent leur significations à ce fait important**. Si l'on veut découvrir la véritable nature de la langue, il faut la prendre d'abord dans ce qu'elle a de commun avec tout les autres systèmes du même ordre; et des facteurs linguistiques qui apparaissent comme très importants au premier abord (par exemple le jeu de l'appareil vocal), ne doit être considérés qu'en seconde ligne, s'ils ne servent à distinguer la langue des autres systèmes. Par là, non seulement on éclairera le problème linguistique, mais nous pensons qu'en considérant les rites, les coutumes, etc. **comme des signes**, ces faits apparaîtront sous un autre jour, et on sentira le besoin de **les grouper dans la sémiologie et de les expliquer par les lois de cette science."**

3- مقولات العلامة السيميائية عند بيرس

تعتمد السيميائيات التي أسسها **بيرس** على تأمل فلسفي يشمل الكون كله، تبدو في الظاهر تجريدية ومعممة لا يمكن أن تؤسس نظرية للمعرفة؛ إلا أنها تزود الدارس بأدوات منهجية تمكنه من تحديد معالم نظرية العلامة، بوصفها نظرية تصنيفية لمقولات الوجود، التي درسها أرسطو من قبل، ثم كانط لاحقا الذي تأثر به بيرس...

العلامة بالنسبة للممثّل: هي علامة بحد ذاتها، قد تكون مجرد ظاهرة، أو كيفية بحتة، فتسمى علامة كيفية Qualisigne أو الصفة؛ منها الصفات الجنسية كالألوان والأنغام والروائح... وقد تكون العلامة شيئا فرديا يحصل في الخارج وتسمى علامة عينية أو مفردة Sinsigne كوجود كلمة في سطر كتاب فهي علامة عينية مهما تعددت نسخ الكتاب، أو إشارة ضوئية هي في مكانها علامة مهما تعددت هذه الإشارات في شارع... وإذا كانت العلامة ذات طبيعة عامة فهي علامة قانونية Légisigne تختلف عن الكيفية وعن العينية، هي ذاتها في كل تجلياتها.. كلمة بيت بغض النظر عن تعدد لفظها أو كتابتها هي علامة قانونية واحدة؛ ألفاظ اللغات الطبيعية، الرموز الرياضية والكيميائية، علامات السير، الإمارات الجوية، الشعارات الدينية، كالهلال والصليب..يمكن أن نقول بأن العلامة العينية ما هي إلا تحقق للعلامة القانونية. يستعمل **بيرس** مصطحات: Tone وToken وType مقابل الـ كيفية والـ عينية والـ قانونية..

من حيث الدلالة على الموضوع يقسم بيرس العلامة إلى أيقونة Iconeوشاهد Index(أو مؤشر أو إشارة) ورمز Symbole.. والموضوع هو الشيء الذي يمكن تسميته أو الدلالة عليه...

يميز بيرس أيضا ثلاثة فروع للعلامة نسبة إلى المؤول ويستعير لها ثلاثة مصطلحات من المنطق التقليدي وهي: Rhéme و Dicent و Argument . الأول يقابل مصطلح مفردة في المنطق عند العرب، إلا أن مصطلح التصور أعم وأقرب إلى قصد بيرس، أي كل علامة مفردة أو مركبة لا تصلح أن تكون حكما بل فقط حدا في الحكم؛ وبالتالي لا تحتمل لا الصدق ولا الكذب: مثل المحمولات البسيطة كـ أسمر،

أو المحمولات المركبة كـ طويل الشعر، أو الاستعارات كـ أسد بدل اسم الشخص، والعينات والزخارف والهياكل...

ومصطلح Dicent الذي تعني القول، فيختص بقسم من القول الذي هو تام، لا ينطبق على القول الناقص، الذي ينطبق على مصطلح Rhema، فهو التصديق وهو عند بيرس علامة قابلة للحكم؛ أي إنها تقبل الصدق أو الكذب، فهي مركب تام " مركب يصح السكوت عنه".

الحجة Argument تأليف من العلامات لا يتعلق إلا بالقواعد، وهي أتم العلامات، الحجة دائمة الصدق، من قبيل الأقيسة المنطقية، الأشكال الشعرية.. " لا تكون النسبة إلى الموضوع إلا رمزية، والنسبة إلى الممثل إلا قانونية.. لا يمكن التمثيل للأيقونة إلا بطريقة تصورية، أما التمثيل للمؤشر يمكن أن يكون تصوريا أو تصديقيا، وأما التمثيل للرمز فإنه يمكن أن يكون تصوريا أو تصديقيا أو حجيا..

- **المقولات ممكنة التحقق في الواقع:**

1- العلامة الكيفية الأيقونية التصورية (1-1+2-1+3-1): كاللون الأحمر الذي لا يمكن أن يدل على الموضوع إلا لشبه ما

وبالتالي لا يمكن أن تكون العلامة إلا أيقونية، وما دامت الكيفية احتمال بحت، فلا يمكن أن تكون العلامة

إلا ماهية أو تصور كاللون الأحمر.

2- العلامة العينية الأيقونية التصورية(1-2+2-1+3-1): إنها شيء أو حدث من التجربة، يدل على موضوعه من بعض كيفياته، ولكونه أيقونيا لا يمكن أن يكون إلا تصوريا؛ كـ تخطيط فردي ما، تخطيط درجة حرارة مريض...

3-

4- العلامة العينية المؤشرية التصديقية(1-2+2-2+3-2) هي شيء أو حدث من التجربة المباشرة، يدل على موضوعه لعلّة ما بينهما، مثل الصرخة الفجائية التي تنم عن ألم أو فرح...

5- العلامة العينية المؤشرية التصديقية(1-2+2-2+3-2): هي شيء أو حدث من التجربة المباشرة، يخبر، بقدر ما هو علامة، عن موضوعه

الذي هو واقع حالي. وهذا لا يمكن أن يحصل إلا إذا كان الشيء أو الحدث متأثرا بالموضوع. كـ ميزان الريح الذي يخبر بوضعه الحالي عن اتجاه الريح الفعلي...

6- العلامة القانونية الأيقونية التصورية(1-3+2-1+3-1): هي قانون عام أو نمط، كل واحد من تحققاته الفردية يمتلكه كيفيات تخوله أن يثير في ذهن المؤول(المعبر) صورة عن موضوعه. مثل التخطيط العام الذي لا يتعلق بحالة فردية معينة، بل ينطبق على سائر الحالات المشابهة، كـ التخطيط العام للحرارة الناجمة عن الحصبة.

7- العلامة القانونية المؤشرية التصورية (1-3+2-2+3-1): هي قانون عام أو نمط كل واحد من تحققاته الفردية مرتبط أو متأثر بموضوعه، بشكل أنه يوجه الانتباه إلى هذا الموضوع. مثل ضمائر الإشارة...

8- العلامة القانونية المؤشرية التصديقية(1-3+2-2+3-2): هي قانون عام أو نمط، يفيد خبرا ما عن موضوعه ويدفع المؤول إلى العمل أو الأخذ بالقرار كـ إشارات المرور والأوامر...

9- العلامة القانونية الرمزية التصورية(1-3+2-3+3-1): هي علامة مرتبطة بموضوعها بواسطة اقتران المعاني الكلية. فكل اسم عام مثل بيت أو شجرة هو من هذا الصنف..

10- العلامة القانونية الرمزية التصورية(1-3+2-3+3-1): هي علامة ترتبط بموضوعها بواسطة اقتران المعاني الكلية كي تفيد خبرا عن هذا الموضوع مثل: الوردة حمراء، العلماء مجتهدون ...

11- العلامة القانونية الرمزية الحجية(1-3+2-3+3-3): هي علامة مؤلفة من مركب تام وقياسي من العلامات، خلافا للعلامة السابقة، لا يجري فيها تحديد الموضوع، بل تحديد التركيب الحاصل بين العلامات التي تخبر عن الموضوع(أي العلامات القانونية الرمزية التصديقية)؛ هذا النوع من العلامات الحجية هو دائم الصدق أي صحيح. كـ الأقيسة والبراهين المنطقية، والأشكال الشعرية...

رتب **بيرس** هذه المقولات في جدول على شكل المثلث التالي:

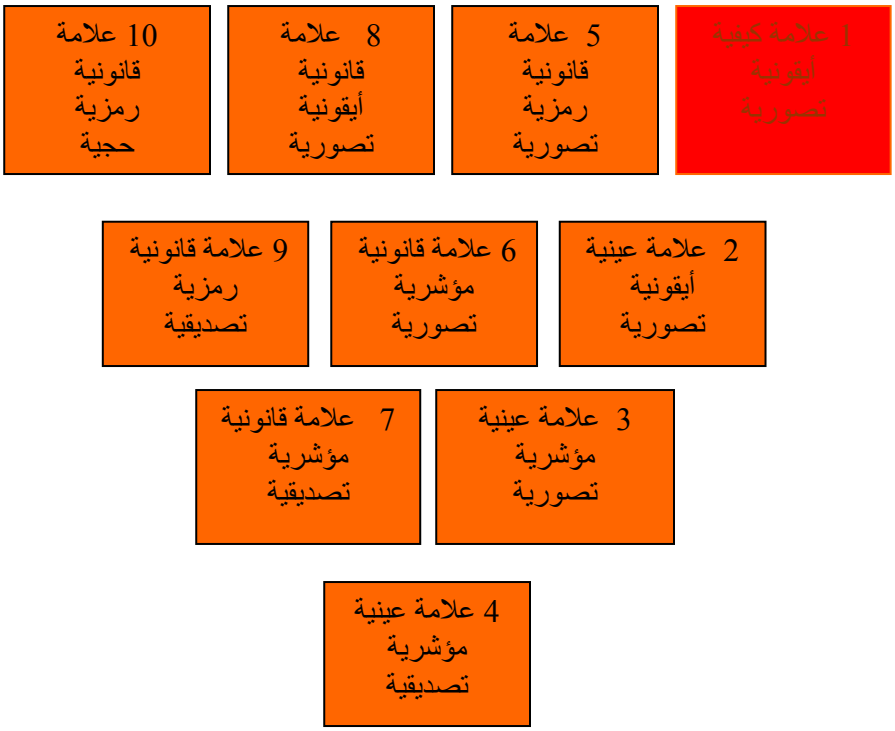

وفي الأخير يمكن أن نصنف العلامات بحسب الموضوع وفق القانون الذي يتحكم في العلاقة بين طبيعة العلامة ووظيفتها التواصلية على الشكل التالي:

1- العلامة الأيقونية؛ قانون المشابهة أو التماثل

2- العلامة الإشارية؛ قانون القصدية

3- العلامة الرمزية؛ قانون التواضع الاجتماعي

نستخلص مما سبق، بأن هناك ثلاثة تصورات لشكل المعنى؛ الشكل الثنائي (دال+مدلول)؛ الشكل الثلاثي (التعبير+المحتوى+المرجع)؛ الشكل الرباعي، المربع السميائي(التضاد+التناقض+التضمن+التضاد التحتي أو النفي). يتحدد منهج الدراسة والتحليل وفق المفهوم الذي ينطلق منه الدراس.

الهوامش:

[i] الإبراهيمي، خولة طالب. مبادئ في اللسانيات. دار القصبة للنشر، 2000، الجزائر. ص:9

[ii] أنظر: جاكبسون، رومان. الاتجاهات الأساسية في علم اللغة.ص: 16-17

[iii] علم العلامة الدالة، أو علم يصف الأنظمة الدالة؛ إنها نظرية الدلالة، وهي بنية من المفاهيم وجملة من شروط إنتاج المعنى وتحليله. تتقاطع مع اللسانيات في جملة من المفاهيم والإجراءات.

[iv] أنظر:

GREIMAS, A.J, et COURTES, J. SEMIOTIQUE- Dictionnaire raisonné de le théorie du langage. Hachette, paris, 1993.

[v] أنظر: المرجع نفسه، ص: 212

[vi] شكلها جماعة من اللسانيين، أبرزهم جاكبسون من سنة 1926 إلى الحرب العالمية الثانية، وتدعى حلقة براغ اللسانية. ركزت على وظيفة اللغة بوصفها نسقا تواصليا (الوظيفية)؛ أي دراسة العناصر المختلفة داخل النسق اللغوي. نشرت أعمال هذه المدرسة في 8 أجزاء فيما بين سنة 1929 و 1939 ، وهي دراسات هامة بخاصة الجانب الفنولوجي منها؛ اعتمدتها اللسانيات الأوربية، وبخاصة الفرنسية منها، يتضح ذلك عند بنفينيست (E.Benveniste)و مارتينه (A.Martinet).

[vii] DE SAUSSURE, Ferdinand. Cours de linguistique générale. Ed. Talantikit Béjaia, 2002. p:22

[viii] Ibid, p: 15

[ix] أبن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تح. عبد الحكيم بن محمد. مج1. المكتبة التوفيقية، القاهرة، ب.ت. ص: 44

[x] أنظر: C.L.G à partir de la p: 23 op.cit

[xi] أنظر:

MARTINET, André. Eléments de linguistique générale. Ed: Armand colin, 4ème ed. Paris, 1999. p: 20

[xii] أنظر: داود، محمدمحمد. العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب، القاهرة، 2001. ص: 44

[xiii] C.L.G à partir de la p: 22 op.cit

[xiv] كير إيلام. سيمياء المسرح والدراما. تر/رئيف كرم. المركز الثقافي العربي، 1992. ص:7

[xv] المرجع نفسه،صن

[xvi] أنظر: المرجع نفسه، ص:19

[xvii] C.L.G à partir de la p: 87 op.cit

[xviii] أنظر: COURTES,J. La sémiotique du langage. Armand Colin, Paris, 2005.p:41

[xix] (Charles Sanders PEIRCE 1839-1914)، عالم منطق أمريكي، يعرف بأعماله المنطقية الرياضية. وضع علم المنطق الثالثاني، المبني على ثلاثة قيم: الصحيح، الخاطيء، الممكن. وهو من رواد السيميائية، والظاهراتية، و التداولية.